-١٣-

هاربةٌ أنــا .. !

هاربةٌ أنا من أحزاني . هاربةٌ إلى مكانٍ لا أعرف فيه أحدًا ولا أحدًا يلقاني .. فقد حَملت على عاتقي من الأحزان ما كفاني .. فأصبحت أعيش بعالمٍ لا أعرف فيه أين أجد مكاني .. وأصبح القريب يتجاهلني والحبيب ينساني ! . أسفةً .. على من وهبته قلبي فتكبّر على عشقي وجفاني ! .. فهل ألقى اللــوم على أشخاص أحببتهم أم ألقيه على زمانٍ ليس بزماني ؟! .. منحتهم فيه من الحب الكثير ولم يمنحوني سوى ألامي .. فما لكَ يا زمان تقسو عليّ وقد عِشت طوال عمري أعاني ..!

فأصبحت أشكو للناس مرارة الأيامِ .. فلم أجد من بينهم من يسمعني ومن يشاركني أشجاني .. ففاض الكيل بى وفرّ الدمع من عيني ..

وأصبح الهَمُ يطغاني .. وقلبي ضعيفٌ لا يقْدِر على تحمل الصعاب والآلامِ .. وعندما أتذكر ما مررت به يزداد قلبي ضعفًا وهوانًا...

فأقسّمت أن أغلق قلبى وألقي بمفتاحه في مكان لا يخطر ببال إنسٍ ولا جانٍ!!

فإليك يا من تقرأ كلماتى هل تشفق على حالي أم تظن أني أعشق الحزن والكآبة عنواني .. أم أنك مررت بتجربتي وتدمع عيناكَ لأنك تشعر بأحزاني ..

هل من أحد يسمعني ! هل من أحد يجيب ندائي ويرد على سؤالي !! ..

كيف أطيق العيش فى هذه الحياة وأنا لم أفرح فيها إلا ثوانٍ ؟!

وقلبى يحدثني إلى متى سأظل أصطنع الابتسامة لألقى من الناس الاستحسان ؟! ..

(هيهات يا قلبي ألم تخبرني بأنك لن تفعل ذلك مجددًا ، لماذا تتذكر ما مضى لماذا تبوح بأسرارك لماذا تحزِن من حولك !! كفاك يا قلبى ! فلك الله هو عونك وشفاءٌ من كل همٍ وسقمٍ بك وشفاء لما جعلته يدور بأذهاني !!!)

فعندما تذكرت اسم ربي خشع قلبي وانتفض كياني ، فتركت مكتبي وتوضأت وركعت لربي الذي أوجدني وأحياني .. وفرغت من صلاتي واطمأن قلبي وأخذت أقرأ لعدة ساعاتٍ فى القرآن .. لم أشعر بالوقت ولم أبالِ بما كنت فيه من حالٍ وعلَت الابتسامة شفتاي وصار وجهي فرحًا مشرقًا عندما قرأت قولَ الله -تعالى-: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُون. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِين .وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين}فكأن تلك الآيات بُثَّ في حروفها ما أشداني وأهدأني

وفي هذه اللحظات طرقت أمي باب غرفتي ، و نظرت إليّ وأنا جالسةً على مكتبي ويبدو على وجهي الاطمئنان .. ففرح قلبها وأطالت الدعاء لي فكم أشعّت في قلبي من الحنانِ .. وأغلقَت بابي وهي تبتسم ابتسامة تملكتني ملأتني فرحًا وحركَت بداخلي الوجدانَ .. وكأنها تعانقني وتهمس في أذني (ما زال يوجد في الحياة إناسًا تُحِب أن تراني بخير ولسانها لا يكُف عن الدعاء لي وقلبها يأبى نسياني .. لأنه وبحق كثيراً يهواني) .. يا لكِ من أمٍ عظيمةٍ ، كم أحبك يا أمي وكم أنا مَدينةٌ لكِ بكثيرٍ من الشكر والامتنانِ..

ونسيت ما كان من قبل ونسيت من ظلمني وأبكاني .. واكتفيت بأنس ربي فهو خير أنيس وخير عون .. وأصبحت أناديه بحبيبي ظ، فهذه المرة أنا على ثقة تامة بأني أصَبت الاختيار واخترت من لن ينساني ! .. من أحبني بصدقٍ وأنزل على قلبي السكينة والطمأنينة وجعلني أشعر بأمانٍ .. أحبك ربي يا من ملكت قلبي وأغنيتني بحُبَك عن كُلّ بشريّ .. يا من بيدك أن تجعل حياتي تشعّ بالحب والسعادة والفرح من كل ألوانٍ .. وتجعل قلبي بحُبَك ينبض بالأمل وينسى التشاؤم والأحزانِ .. يا من تكفيني عن غيرك حينما أتضرع إليك في شكوايَ يا من أعلم بحالي مَنّيِّ وتحرمني من القليل لتعطني الكثير أحبك خالقي أنت وحدك من تبعث ف قلبي الرضا والسكينة والاطمئنان .. أشكو إليك فتحسن سماعي أدعوك فتسجب دعائي أحبك ربي ولن أرضى بعد اليوم بضعف قلبي وهواني .. فهل لي أن اضعف وأنت بجانبي وحبك يطغاني

ماذا حدث لي وكيف تغير حالي وكياني .. وأنا منذ لحظات كدت أتمنى الموت وأذكر غدر زماني .. عجزت عن إدراك ما حدث لقلبي كما عجزَت كلماتي وعجزَ لساني وصرت أحْمِدُ ربي علي ما مررت به ونسيت ما كان وما كدرني وأبكاني .. نعم فقد صار تفكيري عقلاني .. تغير حالي وتبدل وما هي إلا بضع ثوانِ .. وأمتلأ قلبي بالحب والتفاؤل ووجهي يبعث ابتسامات كالورد ويشيِّع الحب والفرح في قلب كل إنسانِ .. أحْمِدُ الله الذي وهبني القوة وأنار قلبي بالإيمانِ و من حبه لي اختبرني ولمصلحتي ابتلاني ...!

أية القاضي